من شؤون المسلمين والعالم

إيران وخطر الثورة الإسلاميّة

لقضية الرهائن التي وجدت حلّها أخيراً ملابسات وأبعاد عديدة ، وإيجابيات وسلبيات كثيرة .. ويكفي هنا ذكر بعض النقاط البارزة :

بغضّ النظر عن الوسيلة المتّبعة ، فقضية الرهائن لم تستعرض إمكانية كسر نطاق النفوذ الغربي فحـــسب ، بـــل أسقطت أيضاً المخاوف الحقيقية أو المفتعلة من احتمال انزلاق إيران راضية أو كارهة في نطاق النفوذ الشرقيّ البديل .. فلو كان يحتمل تحقّق هذه المخاوف كنتيجة للثورة الإسلاميّة في إيران ، لتحققت في مرحلـــة العزلـــة الـــسياسية والاقتصادية الغربية السابقة .. أما الآن فهي أبعد عن التحقّق وقد انفرجت العلاقات من جديد بالغرب عامّـــة ، ولا يستبعد احتمال انفراجها تدريجياً مع أمريكا أيضا

والعلاقات الجديدة بالغرب (والشرق أيضاً) تتطلّب من إيران الثورة أن تضع لها أسساً جديدة واضحة تنبع مـــن الإسلام نفسه ، وتبرز للعالم قدرته (كنظام حكم معاصر) على توجيه المعاملات البشرية بما يحقق الخير للجميع ويبيّن سبيل الهدى أمام الجميع .. مع الاحتفاظ بمنطلق وضعه القوة إلى جانب الحق على الدوام ، الأمر الذي تفتقـــر إليـــه المعاملات الدولية منذ زمن بعيد

وبغض النظر عن الوسيلة أيضاً ، فقضية الرهائن أضعفت هيبة التسلّط الأمريكي على مصائر الشعوب .. ولقـــد مارست أمريكا أساليب التسلّط على الشعوب مستخدمة القوة والعنف ومهدرة حقوق الإنسان وحرياته على كـــلّ صعيد بلا حساب ولا ضمير ، حتى بات الكثيرون يخشون أمريكا قبل أن تلوّح أو تهدّد باستخدام القوة .. بل ربما في حالات لا تملك أمريكا فيها استخدام القوة أصلاً ، وكان قضية الرهائن واحدة من هذه الحالات

خطر (الثورة الإسلاميّة)

كثيراً ما تطالعنا الصحف والمجلاّت العربية وبعض التصريحات الرسمية في هذه المرحلة بالقول : إنّ العالم الإسلاميّ كلّه أيّد ثورة إيران الإسلاميّة في البداية ، ولكنها بما ارتكبته من أخطاء في الممارسة (بما في ذلك قضية الرهائن) جعلته الآن يقف منها موقف الحذر أو العداء ..

هذا غير صحيح .. إنّ الثورة الإسلاميّة في إيران وجدت التأييد الشامل الكبير على مستوى الشعوب المسلمة لأنها رأت من خلالها قدرة الإسلام في هذا العصر على تعبئة الملايين وإسقاط الطاغوت والقضاء علـــى التبعيـــة الأجنبيـــة الرهيبة .. وهذا أمر مستمرّ لأنّ له قوة المغزى التاريخي الذي يتجاوز العوامل الأخرى جميعاً ، بما في ذلـــك مـــسألة الممارسة وأخطائها

ولكن الثورة الإسلاميّة في إيران وجدت من اللحظة الأولى العداء العلنيّ والضمني من جانب أنظمة الحكم القائمة على مثل ما قام عليه حكم الشاه بصور متباينة متفاوتة الدرجة .. فكان أن ساهمت هذه الأنظمة في مساعي حـــصار الثورة ومنع انتقال شرارتها خارج حدود إيران مع وجود الرغبة في القضاء عليها داخل إيران لاحقا

إنّ خطر (الثورة الإسلاميّة) الحقيقي ينمو بنموّ قدرة إيران الثورة على تطبيق المبادئ التي نـــادت بهـــا ونجحـــت بفضلها في الوصول إلى الحكم .. ولا يتحقق ذلك إلاّ بتمكّن القائمين على الحكم الآن من تجاوز كلّ خلاف بينهم ، وتوجيه الجهد الأكبر إلى البناء الداخلي ، مبتعدين في ذلك عن كلّ ما من شأنه تغذية التهم الموجّهة إليهم ، بـــالعجز عن الحكم بالإسلام نفسه في هذا العصر الحديث ، والانطلاق من الاعتبارات المذهبية من دون الإسلام الشامل

هذا الخطر الحقيقي هو الذي يجعل الأنظمة التي تخشاه تسعى جهدها لوضع العراقيل في وجه إيـــران خارجيـــاً ، ومحاولة التأثير على جبهتها الداخلية .. ولكنّه في نفس الوقت لا يبرّر للثورة الإسلاميّة احتمال عدم نجاحها في معركة البناء ، فاختيارها طريق الإسلام يعني أن تضع في حسابها منذ البداية واجب بناء المجتمع الإسلاميّ حياة وحكماً رغم مقاومة الشرق والغرب وأتباعهما لذلك بكلّ قوة وضراوة

أما على مستوى العلاقات الخارجية لإيران ، ولا سيّما في المنطقة الإسلاميّة ، فقدرتها على الاستمرار والتأثير رهن بقوة رصيد التجاوب معها من جانب الشعوب الإسلاميّة نفسها ، وإنّ الشعوب الإسلاميّة تثبت من خلال التجارب نموّ وعيها وقدرتها على تقويم كلّ ما يجري حولها من منطلق فطرتها الإسلاميّة ، وهذا ما يضع الثـــورة الإســـلاميّة في إيران أمام واجبات أساسية :

– لقد استغلّت أنظمة غربية الاتجاه قضية الرهائن من جهة وسلسلة من التطوّرات الداخلية في إيران مـــن جهـــة أخرى للقيام بحملة إعلامية تستهدف أوّل ما تستهدف إضعاف رصيد التجاوب الشعبيّ مع إيران الثورة .. ويجـــب على إيران الثورة الآن أن تواجه نتائج هذه الحملة بوضع أسس سليمة لسياستها الخارجية وتطبيق الإسلام كما أنزلـــه الله على هذا الصعيد وعلى صعيد الحكم والاقتصاد بمختلف ميادينهما في الداخل ، لتقوية التجاوب الشعبيّ معها إلى درجة تضطر تلك الأنظمة إلى وضعه في الحساب في كلّ خطوة عدائية تفكّر بها تجاه إيران

– واستغلّت أنظمة شرقية الاتجاه وضع إيران أثناء قضية الرهائن في محاولة منها لوضعها بأية صورة ممكنة في إطار المحور الشرقيّ الاتجاه داخل المنطقة الإسلاميّة ، ويجب على إيران الثورة أن تستمرّ على بيان استقلالية الإسلام عن كلّ تبعية وتكتّل ما بين المعسكرين

– واستغلّت أنظمة (طاغوتية) كحكم الشاه دموية متجبّرة على (المستضعفين) كتجبّر الشاه على المستضعفين في إيران من قبل .. استغلّت هذه الأنظمة (وأبرزها نظام الحكم الاستبدادي في سورية) العزلة السياسية والاقتصادية من جانب الغرب وأتباعه تجاه إيران الثورة ، لتربط نفسها باسمها (الإسلاميّ) ، ولتظهر أمام الشعوب المسلمة المضطهدة بمظهر التحالف مع الثورة (الإسلاميّة) التي تجاوبت الشعوب معها وتنتظر تجاوبها مع المستضعفين فيها .. ويجب على إيران الثورة أن تضع حدّاً لهذا الاستغلال والزيف ، فالعزلة على مستوى الشعوب أشدّ خطراً على مستقبل الثورة من العزلة على مستوى الحكومات

وبعد

فإن تجربة الثورة الإسلاميّة في إيران تجربة تاريخية بعيدة النتائج ، يمكن أن تكون نقطة تحوّل في مجموع مستقبل المنطقة الإسلاميّة ، إذا اقترنت بنجاح تجربة الثورة لإقامة الحياة الإسلاميّة والحكم الإسلاميّ ، في الداخل أخلاقاً وفكراً واقتصاداً وسياسة على أسس العقيدة الإسلاميّة كما أنزلها الله .. وبنجاح تجربتها لإقامة علاقاتها الخارجية مع الشرق والغرب ، ومع الحكومات والشعوب على الأسس التي أقرّها الإسلام

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة : ٨]

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ٥٨]

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ۞ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى : ٨-١٠]

﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ۞ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى : ٤١-٤٢]